Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك مرآة ثالثة أو رابعة يمر عليها طه حسين مروراً عابراً يلاحقه الشك كأن يقول إن كثيرا كان شاعرا ممتازاً ، وكان يذكر النساء فيحسن ذكرهن[٢٢] » . وكأن يقول فى بعض شعره : « وأنا أرى أن فيها من جودة اللفظ ورصانة الأسلوب شيئاً كثيراً ، ولكنها خالية خلواً تاماً من صدق اللهجة وحرارة العاطفة[٢٣] » . وقد أثبتنا هذه العبارة لنرى أن خلاصة البحث عن الصدق عند العقاد وطه حسين واضحة فى الكلام عن السليقة اللغوية وجودة اللفظ ورصانة الأسلوب . كان ثم اتفاق على قياس الشعر بما هو خارج عنه باعتباره مرآة مصقولة عند طه حسين ومعقدة عن العقاد ، ولكنها فى النهاية مرآة تقوم بمهمة القياس والمطابقة بين عالمين مختلفين .

كان طه حسين سابقا فى استخدام المرآة فى حديثه عن الشعر الجاهلى فتطرق إليه الشك . مع ملاحظة أن المرآة فى حديث طه حسين القديم عن الشعر الجاهلى كانت مرآة مستوية مصقولة ولذا ساغ له أن يسمى النتائج التى تؤدى إليها قانونا . وهذا نص يفصح عن المقدمة والنتيجة ، ويتحدث عن قانون أشبه بقولهم إن الحديد يتمدد بالحرارة وينكمش بالبرودة :

« يجب أن تكون المعانى التى يقصد إليها شعراء الجاهليين ملائمة لحياة البادية فى صورها وأغراضها وموضوعاتها ، فإذا وجد فى شعر بعض هؤلاء الشعراء ما يخالف هذا القانون فيجب أن تلتمس العلة لتفسيره ، فإن وجد فى حياته ما يفسر هذه المخالفة فذاك وإلا فالشعر منحول[٢٤] » وقد يقال إن طه حسين هنا مدفوع بما يراه مفارقة بين الشعر العربى والحياة الجاهلية ، فليس فيه أثر من الدين ولا بعض مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية ، فضلا عن العقل العربى الخصم الذى تحدث عنه القرآن الكريم ، وقد يقال إن طه حسين تلقن درس المستشرقين الباحثين عن العلم بالحياة العربية لا الباحثين عن كشف معالم الأدب[٢٥] . قد يقال ذلك وغيره ، ولكن يبقى أن قراءة طه حسين للشعر الجاهلى باعتباره مرآة مصقولة للحياة العربية - هى التى أدت به إلى الحديث عن قانون ، ثم الحديث عن الشك . ويمكن أن تلاحظ النتيجة نفسها فى حديث المازنى عن الشعر العربى القديم جملة ، وإن كان يعنى الشعر

---

(٢٢) نفسه ، ٢٩١ .
(٢٣) نفسه ، ٢٩٢ .
(٢٤) طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ، ص ٢٩٢ .
(٢٥) د . مصطفى ناصف ، دراسة الأدب ، ١١٢ - ١١٣ .